

زيارة خاتمي ونهاية الطريق

الكولونيل شربل بركات

تأتي زيارة الرئيس خاتمي إلى بيروت في وقت تتبدل فيه الأوراق وتتغير الطروحات وترسم التصورات للمرحلة القادمة في الشرق الأوسط ما بعد حرب العراق وسقوط الديكتاتوريات البعثية الأولى. وتأخذ هذه الزيارة الكثير من الأهمية كونها تأتي مباشرة بعد "زيارة التبليغ" التي قام بها رئيس الديبلوماسية الأمريكية لسوريا ولبنان الأسبوع الماضي. ومن المعروف أن إيران قد لعبت ولا تزال تلعب دورا مهما على الساحة اللبنانية خاصة وعلى ساحة الشرق الأوسط والعالم، وهي تشكل في التصور الأميركي أحد ركائز "محور الشر" الذي يعتبره الأميركيون عدوهم الأساسي، لا بل عدو العالم الحر والاستقرار والسلام الشامل، خاصة في الشرق الأوسط. والرئيس خاتمي هو رئيس الجمهورية الإيرانية المنتخب والذي تدور حول سلطاته الفعلية الكثير من التساؤلات، ولا ننسى الهجمة التي قادها آية الله خامنئي وجماعته ضده والتي أحدثت استياء التيار المتحرر الذي كان قد سعى إلى التغيير وأتى بواسطة الانتخاب الديمقراطي، يومها، بالرئيس وبعده من النواب ورؤساء البلديات، وكلنا يذكر مظاهرات الطلاب يوم اعتقال رئيس بلدية العاصمة وما دار حولها. ولا يزال الوضع داخل إيران غير مستقر بين تيار الرئيس وتيار مرشد الثورة الذي يتحكم بالبلاد بواسطة حرس الثورة والمحاكم الشرعية وبعض مراكز القوى في إيران لمنع التيار المتحرر من إجراء أي تعديل في كيفية إدارة البلاد وسياسات تصدير الثورة إلى الخارج.

الرئيس خاتمي زار لبنان سابقا قبل أن يصبح رئيسا للبلاد، وكان يشغل منصبا حكوميا، وقد جال في المناطق، واجتمع بكل الفئات وأظهر انفتاحا جعل البعض يغير رأيه بالتشدد الإيراني لا بل ينبره بثقافة الرجل واستعداده للتحاور والانفتاح ما كان مرفوضا قطعا من قبل من يمثلون التوجه الإيراني في لبنان يومها. هذا الرئيس الذي رأى فيه الشباب الإيراني أملا قد يسهم بالتغيير أو التقلت من برائن المتعنتين وشرائعهم، يأتي اليوم إلى لبنان وفي هذا الظرف بالذات فماذا تراه يحمل في جعبته؟ وهل يمكن أن يأمل اللبنانيون منه خيرا؟ أم أنهم كالإيرانيين سيسمعون كلاما طيبا ولكن تبقى السلطة في أيدي خامنئي المتحجر؟ وهل يأتي هذا الرئيس ممثلا لـ"محور الشر" ومخففا من وهج رسالة الأميركيين؟ أم أنه بالعكس يأتي ليكمل عمل رئيس الديبلوماسية الأمريكية ويفهم المسؤولين عندنا أن عهد الإرهاب قد ولى وأن عهد المنظمات قد انتهى وها هي إيران تفتح عهدا جديدا باعترافها بالدولة فقط وبسلطتها على كامل أرض البلاد وعلى قرارها الحر وسيادتها التي لا يجب أن تنتقص. هل إن الرئيس خاتمي يأتي ليدعم حزب الله كما يتخوف البعض ويرفع

معنويات الخط المتشدد الذي هزت أسسه ضربة العراق؟ أم أنه، وهو الذي يعرف أكثر من غيره ما هي مفاعيل الحكم المترمت وما هي قدرته على الصمود أمام المد الأمريكي، يأمل أن يلاقى في لبنان مخرجا لمشاكل الشرق لا بل ساحة لتبادل الخبرات والرسائل ويبدأ التغيير الذي يريده في إيران من لبنان حيث يرفع الغطاء عن حزب الله، ويعطي الأولوية للدولة وحتى المساعدات المادية، ويوقف الدعم العسكري؟ وكما فعلت إسرائيل يوم انسحبت بدون ترتيبات مسبقة يسحب حرس إيران الثوري وأجهزته ومخلفاتهم.

برنامج الزيارة يبدو حاملا بعض التفاؤل وقد سبق لتلفزيون الجزيرة في مقابله مع رئيس حزب الله أن أشار إلى إمكانية أن تكون الزيارة لتحجيم الحزب وقد كان رد السيد حسن نصرالله على ذلك غير واضح وفيه بعض القلق إذ قال "بأننا سننتظر ونرى"، فهل إن الرئيس خاتمي سوف يؤيد توجهات وسياسات حزب الله وسوريا في لبنان في خطابه في المدينة الرياضية، ويكون بذلك قد خرق كل الأصول الدبلوماسية و فعل كما شارل ديغول في كيبك عندما قال: " فيف لا كيبك لبير" أي " لتعش كيبك الحرة" متحديا الحكومة الفدرالية يومها، وماذا سيبقى عندها من دور للدولة التي يزورها هو اليوم كرجل دولة ويحاول أن يبني معها علاقات طبيعية ومتوازنة؟ أم أنه سوف يبهرنا ببعد نظره كما كان بهرنا بوسع معرفته؟...

نحن نحلم بأن يكون دور حزب الله قد انتهى، وسوف يحله بالتأكيد سحب الحرس الثوري الإيراني بقرار من رئيس الدولة الإيرانية يعلنه في خطابه بالمدينة الرياضية، وبعدها سيفكك هذا الحرس قوات حزب الله ويلملم الأسلحة التي وزعها عليها ويعود مع من يريد مرافقته إلى إيران، فيكون قد وضع المثل الثاني العملي لسوريا بعد مثل إسرائيل في الجنوب، ويرتاح اللبنانيون للمستقبل المشرق وللعلاقات الودية التي ستبنى وتستمر مع الجمهورية الإيرانية التي عرفت متى وكيف ترفع عنه هذا الحمل.

الأيام القادمة حاسمة بالنسبة لمستقبل لبنان والشرق الأوسط، وهي حاسمة بالنسبة لسياسات إيران المستقبلية أيضا، فلو كان التشدد لا يزال يفرض نفسه أصلا لما كان خاتمي من يزور لبنان في هذا الوقت الحرج، بل لكان إي إمام من أئمة التشدد التابعين لخامنئي قام بالواجب، أو حتى لكان السيد حسن استطاع بنفسه أن يتناول كالعادة على "القطاف الحامضة" ودون أن يعذب الرئيس خاتمي نفسه ويأتي مع وفد بهذا الحجم وبرنامج معلن مسبقا بكافة تفاصيله. رأينا أن الوقت قد حان ليتخلص لبنان من كافة الآفات التي كانت ترهقه وقريبا جدا سوف يبدأ تنفيذ الإنسحابات

السورية وإلا فكيف يفسر قيام سنة طرابلس بطرد جماعات التخريب الأصولية أمس من المدينة وبدون الحاجة إلى الأسلحة والجيوش؟

نعم إن مستقبل لبنان البهي شارف على الشروق من جديد، وسوف تتوجه غدا زيارة سيد إيران المعتدلة التي ستكون مركز الثقل في توازنات الأيام القادمة في الشرق الأوسط لا منبت الإرهاب أو صورة الرجعية والتأخر. وكما سيسهم العراق الجديد المتوازن والذي تحكمه عدالة التعددية في الحكم والديمقراطية الحقيقية، سوف تكون إيران مركز إشراق جديد يؤمن التوازن في المنطقة ولا يترك المجال للاستفراد في القرارات وتوزيع الحقد في كل الاتجاهات. وسوف يكون للبنان دور مهم إذا ما عرف كيف يبني نفسه من جديد وبنفس الروحية التي ستحكم الشرق الأوسط الجديد فيتخلص من عقد الخوف والاستزلام ويمضي في تنظيم المجتمع على أسس التعددية التي عرفها قبل غيره والتي وحدها تؤمن الاستقرار والتطور وتعيد له عزه وازدهاره.

فيا أيها الزائر الكريم فلنكن زيارتك للبنان زيارة يكتبها التاريخ بحروف من ذهب وتبقى وحدها في ذاكرة لبنان دون غيرها من صور القهر التي رافقت لعقدين من الزمن صورة الثورة الإيرانية وإفرازاتها. وليكن الله بعونك فتعرف أن تختار الكلمات لتؤدي المهمة التي عاهدت على إتمامها، فيكون لنا شرف صداقة بلدكم الدائمة ويكون لكم شرف تغيير الصورة التي طالما لبستها إيران في الربع قرن الماضي. ولتكن عين الله عليكم فترعاكم وتحميكم من غدر من لا يريدون أن تنتهي الحروب فتغلق دكاكينهم وتبور بضائعهم هؤلاء هم اليوم أعداء الأمم كلها، ولتكن عيون حرسكم الحقيقي عليهم ولتكن صلوات الناس وآمال الأمهات عوناً لخلاص لبنان والشرق الأوسط من ذل التبعية وآلام الحروب...